

## الموازنة بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية

طارق أحمد خان •

السيرة في اللغة هي الطريقة أو السنّة والهيئة فكلمة السيرة تعني حكاية عمر، كما ورد في القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى: "قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى"<sup>(١)</sup>. أي سنتها وهيأتها. وسير سيرة: حدّث أحاديث الأوائل، وسار الكلام في الناس: شاع وعم، ويُقال هذا مثل سائر والسيرة هي: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريز أو مكتسبًا. وقال خالد بن زهير:

فلا تغضبن من سنّة أنت سررتها

فأول راضي سنّة من يسيرها

والسيرة إصطلاحاً تعني: "فن ترجمة الحياة لشخص ما"<sup>(٢)</sup>. أو نقول: إن السيرة حياة إنسان. والسيرة من حيث الفن فيقول إحسان عبّاس: "إنّ السيرة فن لا بمقدار صلتها بالخيال، وإنما لأنها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيري"<sup>(٣)</sup>.

وقسم النقاد السيرة إلى صنفين ذاتية يترجم فيها كاتب حياته، ويكشف لقرائه ما خفي من أمور تتعلق بمسيرته وغيرية يتحدث فيها الأديب عن شخص آخر. والمقابل الإنجليزي للسيرة الغيرية هو Biography، وهو مشتق من كلمتين يونانيتين تعنيان: وصف حياة، ف Bios تعني: حياة و Graphein تعني: يصف. إن النقد العربي الحديث قد استوعب التفرقة بين المصطلحين الغربيين المركّبين تركيباً مزجياً، فحكماهما لفظاً وقال السيرة الغيرية لـ Biography والسيرة الذاتية لـ Autography.

مفهوم السيرة الذاتية:

• الباحث في الدكتوراه في قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينغر.

السيرة الذاتية نوع من السيرة تعني حكاية عمر، أما الذاتية فكلمة الذات تعني النفس والشخص كما ورد في القرآن قال الله تعالى "وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"<sup>(٤)</sup>. فمعنى ذات الصدر سريرة الإنسان، أي باطن النفس وخفاياها.

السيرة الذاتية هي تاريخ حياة إنسان كتبها بنفسه، وتؤكد على حياة كاتبها الخاصة، كما تستبطن أفكاره، ودوافعه ومشاعره الذاتية. ولقد عرّف باحثوا العرب والغرب السيرة الذاتية، وأول ما يبدأ قديمه (فيلب لوجون) الذي يرى أنها "حكي استعاديّ نثريّ يقوم به شخص واقعيّ عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركّز على حياته الفرديّة، وعلى تاريخ شخصيّته"<sup>(٥)</sup>. إلاّ أنّه يعود عن هذا التعريف محاولاً إيجاد حدّ جديد لها "بواسطة سلسلات من التعارضات بين مختلف النصوص المقترحة للقراءة"<sup>(٦)</sup>.

ويرى عبد العزيز شرف أنّ السيرة الذاتية "تعني حرفياً ترجمة حياة إنسان كما يراها هو"<sup>(٧)</sup>. وأشار يحيى إبراهيم عبد الدايم إلى النقاد الذين عدّوا السيرة الذاتية "مصدراً للمعلومات عن نفسية الإنسان، وكونها تقدّم حقائق هامّة لها قيمتها عن تاريخ الإنسان"<sup>(٨)</sup>. ويرى يمني العيد أنّ السيرة الذاتية "عمل أدبي قد يكون رواية، أو قصيدة، أو مقالة فلسفية، يعرض فيها المؤلف أفكاره، ويصوّر إحساساته بشكل ضمّني أو صريح"<sup>(٩)</sup>. ويذكر محمّد التونجي أنّ السيرة الذاتية "سرد قصصي يتناول فيه الكاتب ترجمة حاله، وما يعترض حاله من معضلات وشدائد، محاولات تتابع الأحداث زمنياً وأهميّة وهو في السيرة الذاتية لا يذكر إلاّ ما يشاء ذكره عن حياته، وما يريد أن يوضعه عن الناس حوله"<sup>(١٠)</sup>. ويقول عبد المحسن طه بدر: "الترجمة الذاتية، تحاول تفسير تاريخ حياة مؤلفها في رحلة زمنية محدودة، وتحفظ بالترتيب الزمني للأحداث كما وقعت لأصحابها، ولا يقتصر المؤلف على سرد الأحداث ولكنّه يقف فيها موقف الدارس المحلّل، كما أنّ الرابطة التي تربط بين أحداثها مجرد رابطة سطحية تتمثل في وقوع الأحداث بعينها في زمن محدّد"<sup>(١١)</sup>. وعرّف أنيس المقدسي السيرة الذاتية فيقول "بأنها نوع من

الأدب يجمع بين التحري التاريخي، والامتاع القصصي ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصه"<sup>(١٢)</sup>. ويقول محمد عبد الغني حسن "الترجمة الذاتية هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره ويسرد أعماله وآثاره. ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته وما جرى له فيها من أحداث تعظيم وتضؤل تبعاً لأهميته وهي مظنة الإغراق والمغالاة غالباً"<sup>(١٣)</sup>. ويقول احسان عباس إنّ السيرة الذاتية "هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعاً من القلق الفني فإنه لا بد أن يكتبها"<sup>(١٤)</sup>.

فالسيرة الذاتية فن يملك ملامح تجعله منضوياً تحت لواء الفنون الأدبية، ومن أهم تلك الملامح "أن يكون لها بناء مرسوم، واضح، يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات التي مرّت به، ويصوغها صياغة أدبية محكمة، بعد أن ينحي جانباً كثيراً من التفصيلات والدقائق التي استعادتها ذاكرته وأفادها من رجوعه إلى ما قد يكون لديه من يوميات ومدونات تعينه على تمثّل الحقيقة الماضية"<sup>(١٥)</sup>.

#### مفهوم السيرة الغيرية:

السيرة الغيرية تكتب عن شخص بارز ومبدع في أي حقل من الحقول الأدبية والفنية والفكرية والسياسية والعلمية وما إلى ذلك. يقول عبد العزيز شرف "السيرة الذاتية نقل مباشر أما السيرة الغيرية فإنها نقل عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق"<sup>(١٦)</sup>. ويقول زكريا إبراهيم أنّ السيرة الغيرية "هي بحث عن الحقيقة في حياة الإنسان فذّ، وكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه والأثر الذي خلفه في جيله"<sup>(١٧)</sup>. كما يقول احسان عباس "الترجمة الذاتية نقل مباشر أما الترجمة الغيرية. أي ترجمة حياة الآخرين. فإنها نقل عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق"<sup>(١٨)</sup>. ويقول أنيس المقدسي: "سيرة ذاتية تدور على حياة كاتبها وسيرة موضوعية أو غيرية تدور حول شخص آخر"<sup>(١٩)</sup>.

### دراسة مقارنة بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية

وأما ما يتعلق بمسألة تمييز السيرة الذاتية عن السيرية الغيرية، فعلى الرغم من العلاقة الواضحة بين النوعين في انهما يشتركان في التعبير عن الذات الإنسانية بطريقة مباشرة وهدفها ابراز تجارب شخصية ما كان لها دور فاعل في الحياة سواء أكان ذلك على الصعيد الاجتماعي أم السياسي أم الأدبي، وتتبع تاريخ الشخصية في تطورها الخلفي والعقلي والعاطفي. إلا أن هذا لا يعني التطابق التام بين النوعين. وقد اختلف الباحثون في هذا الموضوع، ففريق يرى أنه هناك لا فرق بين النوعين في الغاية والمضمون والشكل، إلا أن أحدهما يكتب بصيغة المتكلم وهي السيرة الذاتية والآخر يكتب بصيغة الغائب وكلاهما فن لا علم. ولكن نجد أيضاً أن معظم الباحثين أجمعوا على أن أهم فرق بينهما، هو أن السيرة الذاتية يتم فيها التطابق بين السارد والشخصية الرئيسة والمبدع أما السيرة الغيرية فلا يمكن أن يتطابق فيها المبدع مع الشخصية الرئيسية.

إذا نتكلم عن رسم الشخصية فيقول ماهر حسين فهمي "كاتب السيرة الذاتية يقدم الشخصية من الداخل إلى الخارج، بمعنى أنه يقدم الانفعالات ثم أثرها الخارجي، أو بروزها في شكل أحداث، أما كاتب السيرة الغيرية فليس أمامه إلا أحداث في أكثر الأحيان منها ما يتعمق إلى الداخل أو يقدم الشخصية من الخارج إلى الداخل"<sup>(٢٠)</sup>. وكذلك يقول عدنان حسين أحمد: "لا بد لنا من التفريق بين السيرة الذاتية التي يتطابق فيها المؤلف والشخصية والسارد إلى الدرجة التي يمكن فيها تذييل النص بعبارة أنا الموقع أدناه وبين السيرة الغيرية التي تكتب عن شخص بارز ومبدع في أي حقل من الحقول الأدبية والفنية والفكرية والسياسية والعلمية وما إلى ذلك فالسيرة الذاتية لا يخشى عليها من التداخل مع السيرة الغيرية حسبه فأنها يخشى عليها من الخلط بينها وبين التاريخ والمذكرات واليوميات والرواية"<sup>(٢١)</sup>.

فنقول ليس المقصود من السيرة الذاتية أن يتتبع الكاتب تاريخ حياته وحسب ... ولكن الأخطر هو أن يتعمق أحاسيسه ويسجل لنا نبضات قلبه وهذا ما لا يقوى عليه كاتب السيرة الغيرية. وتختلف

السيرة الذاتية عن الغيرية في أن نهايتها في الأغلب مفتوحة وتكون شبه مغلقة عندما تختص بمدة محدودة من عمر كاتبها. وفي حين تكون أغلب السيرة الغيرية ذات نهاية مغلقة وتكون مفتوحة أحياناً عندما يكون المترجم له على قيد الحياة. ويقول إبراهيم عبد الدائم: "إنَّ السيرة الذاتية والغيرية تختلفان في تناول الحقائق فكاتب السيرة الغيرية، يحسب المواقف أو الواقعة بطريقة مختلفة، بحسب استجابته للواقعة، حتى لو كان حاضراً حدوثها، لأنه يستجيب لها استجابة تختلف عن استجابات الآخرين، تبعاً لتكوينه النفسي، وليس هناك تكيف منه مع موضوعه كما هي الحال لدى كاتب الترجمة الذاتية".<sup>(٢٢)</sup>

ويرى احسان عباس: "الصفات تجعل السيرة الذاتية عظيمة ليست هي نفس الصفات التي تجعل السيرة الغيرية عظيمة: وفي رأس تلك الصفات أن يكون كاتب السيرة موضوعياً، يلمح بسرعة ويفهم بأحكام ويلم الحقائق، ويحكم عليها، ويمزجها مزجاً متعادلاً منسجماً، ويصبغها بأسلوبه. أما كاتب السيرة الذاتية فإنه ذاق كل شيء، ينظر إلى نفسه ويسلط أضواء النقد ودقة الملاحظة على شخصيته، ومترجم غيره يقف موقف الشاهد لا القاضي أما مترجم نفسه فإنه يجمع بين الصفتين. فليس للأول أن يحمل فكرة مقررة سابقة عمّن يترجم له، وإنما من واجبه أن ينقل صورته إلى الخلف، كما كانت تلك الصورة معروفة بين معاصريه. ومثل هذا التقيد لا يمكن فرضه على من يترجم لنفسه فما يقوله يقبل على وجهه. ونتيجة لهذه الفروق تتبع السيرة الذاتية من الداخل، متجهة نحو الخارج، على عكس الاتجاه الذي تمشي فيه السيرة غير الذاتية"<sup>(٢٣)</sup>. ويقول تهاني عبد الفتاح: "كاتب السيرة الذاتية يصور لنا مادة منتزعة من ذاته، لذلك فإنه يتعامل معها بحنو وعطف، أما كاتب السيرة الغيرية فإنه يستقى مادته من العالم المحيط، لذلك فإنه يقف منها موقف الشاهد، أما كاتب السيرة الذاتية فعليه أن يؤدي دور الشاهد والقاضي معاً".<sup>(٢٤)</sup>

فنقول السيرة الذاتية والسيرة الغيرية إن كلامهما، تمدنا سيرة حياة الرجل العبقرى وكلاتهما تطلعنا عن التطور الخلقى

والعقلي والعاطفي وكلاهما يشترك في محاولة الإعادة والخلق لجزء من الوجود الإنسان الفردي ويختلفان في تناول الحقائق التي يجدر بكتاب كل منهما أن يسجلها. فنقول في الأخيرة "إن حياة الرجل حين يكتبها بقلمه هي أحسن ما يكتبه عنه".<sup>(٢٥)</sup>

#### المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم، طه: ٢١.
٢. مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص: ١١٥.
٣. إحسان عباس: فن السيرة، دار بيروت، ص: ٩٠.
٤. القرآن الكريم: التغابن: ٤.
٥. لوجون فيلب: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص: ٨.
٦. المرجع السابق، ص: ٢٢.
٧. عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، إشراف محمود علي مكي مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان ١٩٩٢، ص: ٢٧.
٨. يحيى إبراهيم عبدالدائم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص: "و".
٩. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار النشر المصرية، ص: ١٠١-١٠٢.

١٠. محمّد التونجي: المعجم  
المفصل للأدب، جلد ٢، دار  
الكتب المصرية، بيروت لبنان  
١٩٩٣م، ص: ٥٣٦.
١١. عبد المحسن طه بدر: تطور  
الرواية العربية الحديثة،  
دار المعارف، بمصر الطبعة  
الخامسة، ص: ٣٠٤.
١٢. أنيس المقدسي: الفنون  
الأدبية وأعلامها في النهضة  
العربية الحديثة، الطبعة  
الرابعة، دار العلم للملايين،  
بيروت ١٩٨٤م، ص: ٥٤٧.
١٣. محمّد عبد الفني حسن:  
التراجم والسير، دار المعارف  
الطبعة الثالثة.
١٤. إحسان عباس: فن السيرة،  
ص: ١٠٢.
١٥. يحيى إبراهيم عبد  
الدايم: الترجمة الذاتية في  
الأدب العربي الحديث، ص: ١.
١٦. عبد العزيز شرف: أدب  
السيرة الذاتية، مكتبة  
لبنان، ص: ٦.
١٧. ذكريا إبراهيم: مشكلة  
الحياة، مكتبة مصر، ص: ٢٠.
١٨. إحسان عباس: فن السيرة،  
ص: ١١٢.

١٩. أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها، ص: ٥٥١.
٢٠. ماهر حسن فهمي: السيرة تاريخ وفن، ص: ٢٥٣.
٢١. عدنان حسين أحمد: العرب الأسبوعية، رواية السيرة الذاتية عمن مطعم بشجرة غريبة نموذجاً.
٢٢. يحيى إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص: ٢٦.
٢٣. احسان عباس: فن السيرة، ص: ١١٢.
٢٤. تهافي عبد الفتاح: السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان، وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجاً الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٢٥. جونسون الأديب الانجليزي المشهور نقلًا عن محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير، دار المعارف، ص: ٢٣.